

الحلقة (١٢)

فقد عشنا في اللقاء السابق مع آية كريمة من سورة كريمة هي سورة البقرة فذكرنا أن الطلاق في قول الله عز وجل ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية ٢٢٨.

فذكرنا هناك بعض المسائل الفقهية وعرفنا كيف أن الطلاق إذا وقع هناك أحكام ذكرناها في الحلقة الماضية في هذا اللقاء المبارك والسياق نفسه فالآيات الكريمات تتحدث عن الطلاق فنعيش الآن مع قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

فإذن هذه هي الآية الكريمة التي تسيّر وتدلل على السياق نفسه الطلاق هناك وقع والمطلقات، كم عدد الطلاق؟ متى يحق للزوج أن يتوقف عن حد معين؟ وما إلى ذلك كل ذلك مذكور في هذه الآية الكريمة ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

نأتي مبينين بعض المباحث والجزئيات كعادتنا فأول شيء نقف معه هو:

القراءات القرآنية:

إِلَّا أَنْ يَخَافَا: قرأ حمزة وحده بضم الياء "إِلَّا أَنْ يَخَافَا"

والباقون بفتحها. طبعا قراءة حمزة بالبناء على المفعول "إِلَّا أَنْ يَخَافَا"، والباقون بالفتح على البناء الفعل للفاعل.

سبب نزول الآية:

قال عروة بن الزبير وقتادة وابن زيد وغيرهم نزلت هذه الآية بيان لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرجع دون تجديد مهر وولي وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يطلقون ويرتجعون إلى غير غاية فقال رجل لامرأته على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا أطلقكِ ولا أدعكِ تذهبين فقالت: وكيف؟ قال: أطلقكِ فإذا دنا مضي عدتكِ راجعتكِ فشكت ذلك فنزلت الآية وهذه الرواية عند أبي داود والترمذي وغيرهما.

المفردات:

"إِمْسَاكٌ": الإمساك المنع وأصل الإمساك المتعلق بالشيء وحفظه وهو هنا الارتجاع بعد الثانية إلى حسن العشرة.

"أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ" تسريح أصل التسريح: الإرسال يقال سَرَحْتُ الإبل أي: أرسلتها في المرعى ثم استعير في الطلاق.

"فَلَا جُنَاحَ": أي لا إثم وأصله من الجنوح وهو الميل ومنه الجوانح للأعضاء لاعوجاجها. "حُدُودُ اللَّهِ" الحد هو: الحاجز المانع من اختلاط أحد الشيئين بآخر، والحد المعروف للشيء هو: الوصف المحيط بمعناه المميز عن غيره وسمي الحدود حدوداً لأنها تحد أي: تمنع، وحدود الله عز وجل: أوامره ونواهيه ولذلك قال {فَلَا تَعْتَدُوهَا} جعلها كالمحسوسات من الأجرام والمراد لا تخالفوها فترك أوامرها وتفعل مناهيها هذا فيما يتعلق بحدود الله عز وجل.

❁ بعض الأحكام:

قوله تعالى: "وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا" خطاب للأزواج نهاهم به أن يأخذوا من أزواجهم شيئاً على وجه المضارة وخص بالذكر ما أتى الأزواج نسائهم لأن العرف من الناس أن يطلب الرجل عند الشقاق والفساد ما خرج عن يده فهذا عرفهم في الأغلب فلذلك خص بالذكر نحن نعلم أن الرجل هو الذي يتولى النواحي المالية إن قبل الزواج وإن بعد الزواج وإن أثناء الزواج وإن بعد الفراق بالطلاق فنحن نعلم أن الصداق على الرجل بالضرورة بل هو ركن من أركان الزواج إذاً المهر من الزوج وخلال الحياة الزوجية لا بد أنه يعني يسبغ على زوجته من الحلي وإلى آخره إذا وقع الشقاق عندها قد بعض الرجال يطالب ببعض ما دفعه فهنا خطاب للأزواج نهاهم به أن يأخذوا من أزواجهم شيئاً على وجه المضارة إذا كان هناك مثلاً شيئاً بالتوافق فهذا قد يكون مقبولا، وخص بالذكر ما أتى الأزواج نسائهم لأن العرف من الناس أن يطلب الرجل عند الشقاق والفساد ما خرج عن يده هذا هو العرف وهو عرف قد يكون عرف إنسانياً يعني البشرية كلهم إلا ما شذ في بعض البلدان البعيدة جدا قد تكون المرأة هي التي تقدم المهر وهذا شاذ ونادر جدا.

قوله تعالى: " فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيْمَا حُدُودَ اللَّهِ" المخاطبة للحكام والمتوسطين لمثل هذا الأمر وإن لم يكن حاكما يعني الناس الصالحاء الذي حاولوا الإصلاح ما بين الزوجين فهم المخاطبون بهذا المخاطبة للحكام والمتوسطين لمثل هذا الأمر وإن لم يكن حاكما وترك إقامة حدود الله هو استخفاف المرأة بحق زوجها وسوء طاعتها إياه قاله ابن عباس ومالك ابن انس وجمهور الفقهاء.

قوله تعالى "فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ" إباحة الفدية يعني المرأة قد يكون وضعها المادي جيد أو قد يطالب هذا المطلق ببعض ما دفعه فعندئذ يكون الأمر مقبولا بالتراضي وحيث لا مضارة لأحد الفريقين.

❦ قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٠)

يعني ساءت العلاقة وباءت المحاولات كلها بالفشل واستعصى الأمر واتسع الخرق على الراقع فلم يكن بد مما ليس منه بد ووقع الطلاق الطلقة الأولى وقعت والثانية وقعت والثالثة وقعت وما السبيل إلى أن يعود هذا الرجل إلى امرأته إذن بعد هذه الثلاث فليس له عليها سبيل ولعل التشريع الإسلامي يراعي الحالات النفسية لا يتصور أن رجلا يطلق امرأته ولا سيما إذا كان الوفاق بينهما قائم يطلقها ثلاث تطليقات المعلوم أن الرجل قد يغضب مرة وقد تبدر منه حماقة ويطلقها مرة واحدة وهذه المرة تكون بالنسبة له ولها كالكابوس لا بد أن يتذكران هذا الكابوس دائما إيقاع الثانية يعني يتصور وقوعه من بعض الحمقى من الرجال ولكن الثالثة هذا دليل على أن هناك خلل كبير في هذه السفينة التي تجوب الحياة فإذا الفقه الإسلامي يعالج المسألة بعد الطلقة الثالثة إذن الحياة بينهما استحالة فإذا لا بد أن يجرب هو امرأة أخرى يتزوج امرأة أخرى إن أراد ولكنها هي لا بد أن تذهب إلى رجل آخر بصداق ودخول شرعي ومعاشرة شرعية فعندئذ إن أراد الأول {فَإِنْ طَلَّقَهَا} الأول {فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} غير الأول زوج جديد فعندها لا بد أن هذا الرجل يدرك أن الأمر جد عظيم وإن الأمر يستحال تصوره فإذا إلى هذا الحد إن استطاع أن لا يوقع الطلقات فليفعل وهو مأجور على هذا.

فيجب على الرجل أن لا يلجأ إلى الطلاق إلا مضطرا إلا في الأمور التي ليس للإنسان مستطاع فيها. فإذا المراد بقوله تعالى {فَإِنْ طَلَّقَهَا} الطلقة الثالثة أي الزوج الأول {فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} وهذا مُجمع عليه لا خلاف فيه بين العلماء.

❦ قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَّعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُورًا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٣١)

إذن هذه الآيات كلها تدل على أن التصدع إذا وقع في جدار الحياة الزوجية فالحكم تارة يكون كذا وتارة كذا وتارة كذا هذا الآن هنا في هذا المشهد وقع طلاق النساء والحد الذي هو معروف التربص من المرأة خلال هذه الفترة الرجل إذا لم يراجع امرأته التي لا زالت على ذمته فانه يأخذ أحكاماً موجودة في هذه الآية : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَّعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُورًا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿﴾ فهو سبحانه وتعالى هو الذي يشرع هو الذي يدلنا هو الذي يهدينا هو الذي يرشدنا فيجب على من وقعت منه هذه الأمور أن يسير وفق أمر الله عز وجل.

❖ المفردات:

"فَبَلَّغْ أَجَلَهُنَّ" معنى "بلغن" قاربنا بإجماع من العلماء وهذا مستعمل إذا بلغ الشيء نهايته إذا قارب ومستعمل أيضاً {حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ} و{قَلَمًا بَلَّغًا مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا} المادة تدل على المقاربة أو على أن الشيء وقع أو بلغ منتهاه أو نهايته.

"فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ" وهو القيام بما يجب لها من حقٍ على زوجها هذا هو الإمساك يمسك بالمعروف والطلاق الآن ولا سيما التطليقتان الأوليان المرأة باقية في بيتها بل القرآن سمى البيت بيتاً لها {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ} فإذا طلق الأولى والثانية لا توجب مفارقة الزوجة لبيتها فالبیت بيتها وما في النفس في النفس ولكن أيضاً يجب على الزوج ولا سيما في وقت الآن تراجع نفسه يجب عليه أن يقوم بالنفقة وما إلى ذلك.

"أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ" يعني فطلقوهن المراد أن هذا الرجل إذا طلق المرأة هذا لا يعني نهاية العالم ولا يعني أن هناك المكائد والعداوات تتحرك ويذهب هو يكيد لأهلها ولها وتذهب هي وتكيد له ولأهلها ليس المراد هذا شيء لم يحصل فيه وفاق ينتهي على خير وكل واحد منهما يعرف حدوده وحقوقه وتنتهي المسألة إما ما يفعل عند بعض الناس من رفع العقيرة ويعلن قيام الحرب العالمية داخل البيت ويعلن الويل والثبور وعظائم الأمور والجهاز العصبي بلغ منتهاه هذا كله غير سديد وينافي ما أمر الله عز وجل به فما أمر الله به ما نسمعه وما تلوناه، فإذا يجب علينا أن نتصور هذا المعنى أن إبليس حريص بالذات في هذه مسألة الطلاق ومسألة تعظيم الأمور، فإذا الحكم على الأمور وعلى الناس ويقول أنا، كما قال أستاذ المتكبرين إبليس عليه من الله اللعائن يقول {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ} أنت راجع نفسك ويا حبذا في مثل هذه الظروف أن يأخذ الزوج إجازة قصيرة ويخرج إلى مكان إلى الصحراء مثلاً ويقعد تراجع نفسه بإذن الله إذا استعان بالله فهذه كلها أوهام.

"وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا" معناه لا تأخذوا أحكام الله تعالى في طريق الهزل فإنها جدٌ كلها فالله عز وجل ما خلق السماء كما قال سبحانه وتعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} فأمر الله عز وجل مبناها وممرهاها ومعناها على الجد لا هزل لا عبث فانظروا تذييل الآية بالنهي عن اتخاذ آيات الله، وآيات الله هنا إن قلت الآيات المتلوه فهذا حق وإن قلت كما يقول بعض المفسرين الآيات التي هو في جملتها في عدادها فالزوج آية والمرأة آية فإذا عليه ألا يتخذ هذه الآيات الحسية المشاهدة أو هذه الآيات المسموعة المتلوه عليه ألا يتخذها هزواً إنه إن لم يفعل بالإرشاد القرآني فقد اتخذها هزواً إن بلسان الحال أو بلسان المقال فإذا على الأزواج أن يتقوا الله عز وجل

في هذه المسائل أولاً أن لا يتعجلوا وإذا وقع الشيء وحصل فعليه أن يكون بالحسنى وبالمعروف،
الطلاق لا يعني قيام الحرب العالمية بين الأسرتين، لا، يعني أن هذا لم يستطع أن يفهم الآخر وعليه
أن يجرب كل منهما حظه في زواج آخر.